

## الحب بين الناس وـ



«من المطاعن التي وجهت إلى الإسلام إنّه دين جاف يخلو من الحب بين الله والناس. جاء في كتاب "فلسفة الدين" الذي ألفه بالإنجليزية (ادوار روس): "إنّ كلمة الإسلام معناها الإذعان لإرادة الله، وأخلق بذلك أن يفضي إلى اعتباره قضاء متحكماً غير مفهوم، من العبث التمرد عليه، وليس من صفاته القداسة ولا الحب، ومع ذلك فقد ظهر مسلمون لا يرتاحون إلى هذا الدين الجاف، وإنّ في ظهور الفرق الصوفية التي انتشرت في الإسلام لشهادة بوجود الشوق إلى اتصال يكون أوثق بإله حي يفيض بالحب".

والغريب أنّ سوء النية والجهل هما شعار هذا الكاتب، وليس أسهل من الرد عليه في أمر هو أجهل الناس فيه لأنّ الحب بين الله والناس كثير التكرار في القرآن، فقد جاء في أساليب شتّى إثباتاً ونفيّاً، وهو يقسم إلى قسمين: حب الإنسان الله، وحب الله للإنسان.

حب الإنسان الله: المؤمن الحق هو الذي أدرك جمال الله وجلاله، واستشعر لطفه وإحسانه وعلم علم ممّا اليقين إنّه هو المنعم عليه. ثم تأثر بهذا الإدراك فأحبه، فأصبح قلبه مشغولاً به وعمله موجهاً إليه، ولذته وارتياحه في طاعته وعدم مخالفته أمره، يتحمل في ذلك ما يتحمل راضياً مغبطاً، قرير العين مطمئن القلب.

فحب الإنسان الله هو الإيمان الحق، وليس هو مجرد المعرفة وإذعان النفس، بل الإيمان الحق هو إيمانه المحب الله الذي يؤثره على النفس، وتبدو آثار حبه إياه في جميع أقواله وأفعاله. أما الإيمان التقليدي الذي لا يعدو الإذعان النفسي ولا تظهر آثاره في مظهر من المظاهر العملية الإيجابية، فليس هو الإيمان الذي يريد الله من عباده، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا كَانَ أَبَانُوكُمْ وَأَبْنَاؤُوكُمْ وَإِخْوَانُوكُمْ وَأَزْوَاجُوكُمْ وَعَشِيرَاتُوكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةُ تَخْشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَادَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبه/ 24).

جمع **ا** في هذه الآية جميع رغائب الإنسان وحاجاته في كفته، ووضع في الكفة الأخرى حب<sup>٣</sup> **ا** ورسوله وحب الجهاد في سبيله، فالنفس التي تتحرر من تلك الرغائب جميعها وتوثر عليها **ا** رسوله هي النفس التي يتطلبها الإسلام.

ويصف **ا** صفات المؤمنين الصادقين الذين أحبهم كما أحبهم مخاطبًا المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِرَقْوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَالَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزَةٍ عَلَى الْكُفَّارِ إِنَّمَا يُحِبُّهُمُ الظَّاهِرَةُ وَلَا يُحِبُّهُمُ الْآتِيمُ ذَلِكَ فَضْلٌ الَّهُ يُؤْتِ تِيهَ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ أَسْعَعُ عَالَمِينَ) (المائدة/ 54).

وحب<sup>٤</sup> **ا** هو علامة المؤمنين الحقيقية الذين تذوقوا حلاوتها بما رغبوا عنها بديلاً، ولهذا يقول الرسول (ع): "ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون **ا** رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرأة لا يحبه إِلَّا **ا**، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار".

"فحب<sup>٥</sup> **ا** من أهم القواعد في بناء الأخلاق، وهو يحوّلنا إلى أرواح لطيفة لا يصدر عنها شرٌ ولا عداون، وقد يصل بنا إلى حب كلّ شيء في الوجود حين نتمثل العالم كله من صنع المحبوب، وهذا بالطبع لا يتيسر إِلَّا حين يغلب علينا الصفاء فننسى البغض والحقن والانتقام والحسد وسائر الدسائس الصغيرة التي تفسد جمال الحياة وتصير الأحياء أشقياء".

حب **ا** للإنسان: وأما حب **ا** للإنسان فلم يمنحه القرآن إِلَّا لذوي الأعمال العظيمة التي تشمل الخير للإنسان وللمجتمع الإنساني ولم ينفعه **ا** إِلَّا عن ذوي الصفات السيئة الموجلة في السوء التي من شأنها أن تشيع الضرر والفساد.

والآيات القرآنية التي أثبتت حب<sup>٦</sup> **ا** لعباده، تصف هؤلاء العباد المحبوبين بأوصاف هي أُمّهات الأخلاق ومنابع الفضائل النفسية:

(وَإِنْ حَكَمْتَ فَعَالِمْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المائدة/ 42).

(بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فِي إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران/ 76).

(فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران/ 159).

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة/ 13).

(وَمَا ضَعْفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران/ 146).

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَّطَهِّرِينَ) (البقرة/ 222).

ونفي **ا** حبه عن الذين يتصفون بصفات هي مصدر شقاء للجنس البشري كقوله تعالى في الآيات التالية:

(وَلَا تَبِغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص/ 77).

(وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّرُهُمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران/ 57).

(وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف/ 31).

(لَيْلَةً زَرِيَ الْمَكَافِرِينَ آمَدُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُ الْمُكَافِرِينَ) (الرّوم / 45).

(لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرِرُونَ وَمَا بُعْلَمُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُ الْمُسْتَكَبِرِينَ) (النحل / 23).

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء / 36).

(وَإِمَّا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خَيَّرَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ فَإِذَا سَوَاءٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُخَاهِرِينَ) (الأنفال / 58).

(وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَذَرِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة / 190).

فمحبة الله للإنسان ما هي مصدر سعادته، لأنّها تتبعها ولية له ونصرته ودفاعه عنه وبالعكس، فإن بغض الله للإنسان سبب في شقاوته، هذا ما بيّنه الرسول (ص) بقوله: "إذا أحب الله عبداً نادى جبريل فيقول إنني أحب فلاناً فأحبه". فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إنني أبغض فلاناً فابغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يبغض فلاناً فابغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض". ▶